محاضرة رقم ٩	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	فلسفة التاريخ
المادة باللغة الانجليزية	philosophy of history
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ / ٢٠٢٤
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	د. أحمد محمود حمود
العنوان باللغة العربية	التفسير النفساني – الاجتماعي
العنوان باللغة الانجليزية	psychological explanation
المصادر والمراجع	فلسفة التاريخ – غوستاف لوبون
	ابن خلدون – المقدمة
	فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي – عبد الرحمن بدوي

المحاضرة : التاسعة

التفسير النفساني – الاجتماعي

حاول بعض من علماء الاجتماع وعلم النفس الربط بين الظاهرة الاجتماعية و بين معناها السلوكي والنفسي . وانطلق هذا التفسير من اعتبار نفسية الانسان هي التي تحدد شكل المجتمع وحياته الاقتصادية والسياسية وغيرها من مجالات الحياة . لقد بدأ لهؤلاء أن الكثير من اعمال الأفراد والجماعات ترجع إلى المؤثرات النفسية التي يخضع لها البشر عادة في حياتهم اليومية . وقد تقوى الانفعالات النفسية في الأفراد وتنتشر . ثم لم تلبث أن تغدو خصائص في الجماعات المختلفة عبر العصور ، ويقوى أثرها في النفوس بوصفها عوامل فعّالة في توجيه تلك الجماعات وفي تطورها الاجتماعي . وهناك من رأى أن كثيرا من التطور في حياة الأمم يعود إلى تقليد بعضها بعضاً وإلى نفور بعضها من بعض . ومن هنا فإن ارتباط الأسس النفسية بالفعل الاجتماعي قد دفعت كثيرين من العلماء وحفزتهم إلى تطوير وتعميق هذه الجوانب من العلاقة.

غابرييل تارد (١٨٤٣ – ١٩٠٤)

يعد العالم الفرنسي تارد ، من العلماء الأوائل الذين لهم أهمية بارزة في تأسيس «علم النفس الاجتماعي». وترجع شهرته إلى كتابه (قوانين التقليد) ومن خلاله ظهر ما يعرف بـ (نظرية التقليد الاجتماعي). لقد أهتم تارد بالتقليد وأثره في المجتمع ، وبحث فيه من ناحيتيه النفسية والاجتماعية واعتقد بأن حياة المجتمع بأكملها تخضع لما جُبل في طبيعة البشر من «غريزة التقليد». بل رأى ان افراد الجماعة الواحدة ينهجون في تفكيرهم نهجا واحداً عاما في العادة ، كما أن الشخصيات الفذة بنظرة تحقق اكتشافات خطيرة : أما أغلبية افراد المجتمع فدورها تقليد هؤلاء .

وعلى هذا الأساس أكد تارد أنه ليس بإمكان المجتمع أن يعيش ولا أن يخطو خطوة إلى الأمام دون ركام من العادات المتوارثة والمكتسبة ، الذي لا يبرح يتكاثر عبر الأجيال المتعاقبة وبهذا يغدوا التقليد بنظر تارد اساس الفعل الاجتماعي . لقد ركز تارد على الفرد بشكل خاص لأن الأفراد بنظره خاضعين أيضاً لقانون التكرار العالمي. فالفرد عن طريق تكرار ماضيه كما يفعل بالنسبة لعاداته وذاكرته يقلد نفسه أيضاً . كما أكد على حقيقتين أساسيتين: الأولى الاختراع ، او التجديد . والثانية المحاكاة أو التقليد , والحقيقة الأولى بنظرة فردية ومن خصائصها الخلق والابداع وايجاد الطرائق الفنية والتنظيمات الجديدة . أما الحقيقة الثانية فمن خصائها تعميم هذه المستحدثات ونشرها ومحاكاتها.

فـ(تارد) يرى أن التقليد ، هو : أساس تعلم السلوك ، أيًّا كان هذا السلوك ، فالانحراف لدى (تارد) ينتشر بانتقاله من فرد إلى فرد أو من طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى من خلال المحاكاة أو التقليد ، وتتم عملية المحاكاة تلك باتصال الأشخاص بعضهم ببعض وفق قوانين ثابتة ، ويمكن التمثيل على ذلك بزحام بشري في مكان ما ، إن التقليد يتم حسب قوانين ثابتة كما ذكره (تارد) على النحو التالي :

- يتعاظم التقليد كلما كان الاتصال بين الأفراد أكبر ، وهذا يكون في المدينة أكثر منه في الريف .
- التقليد يكون من الأعلى إلى الأسفل ، فالفقير يقلد الغني ، والصغير يقلد الكبير .

كما أشار تارد إلى أن هناك صورتين رئيسيتين للتقليد هما : « تقليد التقاليد » التي تنتقل من جيل إلى جيل آخر . والأخرى تظهر بين افراد الجيل الواحد نفسه وهي « تقليد العادة ». ورأى أن القانون الأساسي للتقليد كما ذكرنا هو ان الأدنى يقلد الاعلى سواء أكان ذا مكانة أم سلطة قوية .

ومن هنا رأي تارد أن المجتمع هو جماعة من الأفراد المتشابهين في نواح كثيرة بسبب «التقليد» ، أو « المخالفة » . وطالما أن الشخص اجتماعي فهو مقلد . وكما أن المشابهات البيولوجية ترجع إلى الوراثة . كذلك فان المشابهات البشرية بين الأفراد ترجع إلى التقليد. لابل اعتقد تارد انه بنظريته هذه قد

كشفت الحجاب عن قانون عالمي ، لا يطبق على علم الاجتماع وحده . بل وعلى الكون او التاريخ بأسره.

لقد أخذ بعضهم على تارد ونظريته هذه جملة من المأخذ أهمها : مغالاته وتطرفه بالتأكيد على فكرة التقليد وتطبيقها على جميع الظواهر المتشابهة فضلاً عن تشدده بالنظر إلى التقليد بوصفه عملية آلية لا أكثر . كما عاب عليه بعضهم انه رأى في أغلبية أفراد الشعب (الجماهير) مجرد منفذ بسيط لإرادة غيره ، وأنكر عليه كل عمل مبدع او خلاق .

كما أقتفى أثر (غابرييل تارد) العالمان الأميركيان (كيد بنكس) و (أورد) . اذ أعلنا أن مشاعر الأفراد وأفكارهم ورغباتهم تمثل القوى الرئيسة الحركة التطور المجتمع الا انهما مالا إلى تأكيد النظام الرأسمالي ، حيث بيّنا بأن اسلوب الانتاج الرأسمالي هو نتيجة حتمية لنفسية الانسان الطبيعة . اما (ماك دوغالي) فقد أكد في دراساته للنفسية الاجتماعية على الغرائز الأساسية التي تشكل بنظره , الأسس الطبيعية للروح ، والتي عدها مصدرا للأحداث الحسية الاجتماعية الكبرى كالخوف والفضول والخضوع ونمو المدن الكبرى وتراكم رأس المال وغيرها. في حين ذهب (كولاي) في كتابه التنظيم الاجتماعي ، إلى أن الشخصية الفردية تخلقها حياة الجماعة. وبهذا يكون الفرد والمجتمع وجهين لحقيقة نفسية واحدة .

كما يلحظ ان مدارس التحليل النفسي ل (فرويد) و (يونغ) و (أدلر) وغيرهم. قد أسدت خدمات كبيرة لعلم النفس الاجتماعي ، لاسيما في مجال المفاهيم (اللاشعورية) و (النموذجية) وهي وأن عبرت كثيراً عن مواقف أو ظواهر اجتماعية . الا أنها كانت تميل إلى الفرد بوصفه أداة اساسية لحركة التاريخ أو الحضارة .